Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العام الذى يقوم عليه التخييل فى كلا النموذجين بما يؤيد ما قلناه إذ يقول : « ... وعلى هذا موضوع الشعر والخطابة أن يجعلوا اجتماع الشيئين فى وصف علة لحكم يريدونه ، وإن لم يكن فى المعقول ومقتضيات العقول ولا يؤخذ الشاعر بأن يصحح كون ما جعله أصلا وعلة كما ادعاه فيما يبرم أو ينقض من قضية ، وأن يأتى على ما صيَّره قاعدة وأساسا ببينة عقلية ، بل تُسلم مقدمته التى اعتمدها بينة ، كتسليمنا أن عائب الشيب لم ينكر منه إلا لونه ، وتناسينا سائر المعانى التى لها كُرِه ، ومن أجلها عيب »(١٦٤) .

وبهذا المعنى للتخييل يفسر عبدالقاهر كلمة « الكذب » التى وصف بها الشعر على سبيل الإشادة فى قول البحترى :

كلفتمونا حدود منطقكم فى الشعر يكفى عن صدقه كذبه

وفى تلك العبارة المأثورة : « خير الشعر أكذبه » ؛ فالكذب فى الموضعين إنما يراد به التخييل ، والاتساع فى القول ، والمبالغة فى الوصف ، وادعاء الحقيقة فيما أصله التقريب والتمثيل ، وفى هذا يجد الشاعر سبيله واسعا إلى إبداع المعانى وابتكار الصور ، حيث ينفسح المجال أمامه للتفنن فى التعبير فيكون « كالمغترف من غدير لا ينقطع ، والمستخرج من معدن لا ينتهى » ومما يؤكد هذا التفسير فى بيت البحترى ما جاء فى شطره الأول ، إذ ينعى الشاعر فيه على نقاد الشعر والمتأدبين المتأثرين بالمنطق والفلسفة احتكامهم عند النظر فى الشعر إلى منطق العقل الصائب وبرهانه القاطع ، وهى نظرة تأباها طبيعة الشعر ، وتعد عبئا ثقيلا على الشعراء .

إلا أن ثمة عبارة أخرى مأثورة على النقيض من العبارة السابقة ، إذ تمتدح الصدق فى الشعر حيث تقول : « خير الشعر أصدقه » أو على حد تعبير أحد الشعراء :

وإن أحسن بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

يجد عبدالقاهر نفسه فى مواجهة هذه العبارة المأثورة ، فيذهب فى تفسير الصدق بأحد معنيين هما : الصدق فى مدح الرجال كما روى عن عمر بن الخطاب فى ثنائه على زهير بن أبى سلمى بأنه كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه . والمعنى الآخر ما

---

(١٦٤) أسرار البلاغة ص ٢١٩ .